|  |
| --- |
|  **بسم الله الرحمن الرحيم** |

**دراسة أسلوبية سيميائية لرواية**

**ستائر العتمة**

 **لوليد الهودلي**

**إعداد**

**تهاني سالم محمد أبو صلاح**

**2015 – 2016م**

**المقدمة**

**الحمد لله الذي لا تدركه العيون بألحاظها ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم الصلاة والسلام على النبي الذي لم يرَ للكفر أثرًا إلا طمسه ومحاه ولا رسمًا إلا أزاله وعفاه .**

**بادئ ذي بدء،**

لم يطل صمت الروائيِّ الفلسطينيّ الملتزم بقضيته المؤمن بعدالتها، فأعلن رفضه للمرحلة الجديدة التي لا تسمح للأدباء الاقتراب من الثوابت التي كتبت بدماء الشهداء وأشلاء الجرحى وآهات الأسرى وأحلام اللاجئين في المنافي والشتات، وما شاء فيها من حديث عن سلام للقاتل دون الضحية.

**أدب السجون**: هو الأدب الإنساني النِّضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي، والمعبّر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس الذهبية.

على الرغم من قمع الاحتلال، تعددت أشكال الأنشطة الثقافية والتعليمية اليومية سواء على المستوى الجماعي أو الفردي داخل السجون والمعتقلات الإسرائيلية، وأنتج الأسرى وسائلهم الخاصة لتبقى هذه المعتقلات مفعمة بالحياة الثقافية المناهضة للاحتلال، لقد رفد الأسرى الفلسطينيون الأدب الفلسطيني بدوافع الإبداع وروافد التميّز، لقد اكتسب أدب السُّجون خصوصية الثورة وعنف المقاومة، ورقة العشاق وطهارة الانتماء، ولكن الأدب الأسير لم يأخذ حقه في البحث والأضواء رغم أن السجن ظلّ من أهم روافد الإبداع والتَّطور الفكري والثَّقافي والأدبي .

وفي هذا العمل المتواضع يُعرض دراسة عن رواية الأديب وليد الهودلي ( ستائر العتمة ) التي يصف فيها المؤلف حياته داخل الأسر وكيف تم القبض عليه وعلى رفقائه وكيف كان للسجن حرية لأفكاره .

**نبذة عن الأديب الأسير وليد الهودلي[[1]](#footnote-1)**

الكاتب وليد الهودلي من أولئك الكتَّاب الذين اخترقوا الحزن وألم الأسر، ليخطوا بقلمهم معاناة شعب، وليضيفوا إلى أدب المقاومة والصمود سجلاً حافلاً يبقى وثيقة شرف صادقة لتحكي على مرّ السنين لجيل وأجيال بطولة شعب سطر أروع البطولات في وجه أقوى عدو عرفه تاريخ الانسانيَّة .

نعم؛ فلسطيني يحمل حجر بيد وقلماً باليد الأخرى فخور بعطاءات شعبه وبقدسيَّة جهاده .

وليد إبراهيم عبدالله الهودلي، يسكن في العباسية قضاء يافا في رام الله.

اعتقل الاديب ثلاث مرات:

1· 1979 اعتقال اداري لمدة ستة اشهر

2· 1990 اعتقال -بتهمة محاولة خطف مستوطن واصابته -دام اثنا عشر عاما

3· 2007 اعتقال اداري لمدة عشرون شهرا

المؤهل العلمي: خريج معهد المعلمين سنة (1980) تخصص علوم ورياضيات

**السيرة العمليَّة**

- قام بممارسة التَّدريس في بداية تخرجه لمدة اربع سنوات

شغل وما زال مسؤول العلاقات العامة في مصلحة المياه / رام الله.

قام بتأسيس مركز أدب مع مجموع من المثقفين-مركز بيت المقدس للآدب

محاضر ومشارك في ندوات ودورات لمركز بيت المقدس للأدب وغيره من المراكز

عضو اتحاد الكتَّاب الفلسطينيين.

 **أعماله الأدبية**

1. رواية :-ستائر العتمة جزء1 روت تجربة التحقيق في زنازين الاحتلال الاسرائيلي

 :- ستائر العتمة جزء2 تحقيق في مرحلة وزمن مغاير

2. رواية :- الشعاع القادم من الجنوب/ روت قصة الدوريات العرب، اي المقاومين العرب الذين جاءوا من خارج فلسطين لمقومة الاحتلال ونصرة للقضية الفلسطينية

3. مجموعة قصصية:-مدفن الأحياء / شواهد حية من المرضى الاسرى في سجون الاحتلال

4. مجموعة قصصية:-مجد على بوابة الحرية قصص حدثت مع الاسرى

5. منارات/ مجموعة تربوية في التزكية الإسلامية.

6. حكايات العم عزالدين من جزئيين تقص رحلة الى السُّجون من خلال زيارات الأسرى يروى فيها الأسير بطل الحكاية عدد من روايات وقصص لأسرى لابنة أخيه.

7. أبو هريرة في هدريم/ مجموعة قصصية.

8. رواية:- امهات في مدافن الاحياء تتحدث عن الام الفلسطينية في الاعتقال

9. رواية :ليل غزة الفسفوري تتحدث عن الحرب الفسفورية التي شنها الاحتلال على قطاع غزة عام 2008

10. المستخلص العملي في مدارج السالكين

11. مسرحية:- النفق تتحدث عن حالة هروب من الاسر

12. مجموعة مسرحيات تخدم مواقف معينة مثل رامي وحكمة الذئاب تتحدث عن الاطفال الاسرى

 13. مسرحية:- ابريق الذهب تتحدث عن سيطرة الاحتلال على موارد المياه

 15. مقالات عديدة في مناسبات مختلفة نشرت في الصحف والمجلات والنت.

**الرواية في سطور ( سيميائية المحتوى )**

من الكتب التي تتخصص في مجال الأمن كتاب "ستائر العتمة... تسعون يومًا في المواجهة الملتهبة في زنازين بني صهيون" ، الذي يتحدث فيه أحد المجاهدين عن رحلة اعتقاله كاشفًا فيها أساليب المخابرات الصهيونيَّة في التحقيق والإيقاع بالأسرى .

يستعرض الكاتب وليد الهودلي في كتابه الذي يتضمن 177 صفحة حياة الاعتقال من اللحظة الأولى التي يتم إلقاء القبض فيها على المجاهد إلى أن يبدأ التَّحقيق متطرقًا إلى الأساليب المدروسة التي يستخدمها رجال التَّحقيق الصهاينة، وهي تُحكي على لسان بطل الرواية عامر ما تعرض له في زنازين الاحتلال ومكاتب التحقيق.

ويشير إلى حالة المد والجزر في أقبية التحقيق والترهيب والتخويف والترغيب والإرهاق النَّفسي التي تحاول إيصال المخابرات المجاهد إلى حالة الارتهال النَّفسي والاعتراف التلقائي أثناء تغييب العقل .

ويتناول الكتاب خمسة فصول حيث يتحدث الكاتب في الفصل الأول: عن بداية التحقيق الذي يكون روتينيا معنوناً اياه بـ"تقلبات الزنزانة"، أمَّا الفصل الثاني: ففيه يذكر مقالب التحقيق والثالث: يشير إلى العودة مرة أخرى للزنزانة والألم النفسي التي يحاول الاحتلال إدخالها على السجين ... أمَّا في الفصل الرابع: يشير إلى الإغراءات والعروض والترغيب من قبل المخابرات بعنوان "صفقة مغرية"، وفي الفصل الخامس والأخير: يتحدث عن العودة للزنزانة وشرك عملاء السجن العصافير ...

**سيميائيَّة عنوان وغلاف رواية ستائر العتمة**

لقد اختار الكاتب ستائر العتمة اسمًا لهذه التجربة وقد حاولتُ أن أفهم مبرراته لاختيار هذا الاسم! بأنَّ عصافير السجن: هم ستائر تطفئ نور الحقيقة على العدو بدلًا من كشفها وذلك لقوة إيمان الأسرى. فالرواية تمثل دروسًا في كيفيَّة مواجهة المحقق والانتصار عليه، وتتوازى مع كتَّاب "فلسفة المواجهة" الذي يعد مرجعًا أساسيًّا لكلِّ المناضلين، من هنا كان الكاتب غارق في الواقعية، حيث ركز كل مجهوده وهدفه على أن يكون هذا العمل يُستفاد منه لكلِّ من يفكر في مواجهة المحتل.

هذا العمل الروائي الوحيد الزاخر بفكرة الإيمان الدِّيني، ودوره في تحقيق الصُّمود وتجاوز فترة تحقيق استمرت لمدة تسعون يومًا كاملًا، فكان "عامر" في كل مرحلة من مراحل التَّحقيق يستحضر آيات من القرآن الكريم، أو من الثقافة الدينية مدعمًا ذلك بتجربة الاعتقال السَّابقة لكي يتجاوز الحالة التي يمر بها، وفعلًا كان ناجحًا جدًا في تجاوز كلِّ مراحل التَّحقيق حتى بعد أن تم العودة إلى أساليب التَّعذيب القديمة وما فيها من بطش وشراسة.[[2]](#footnote-2)

أمَّا الغلاف فكان يحمل شكل وجه الاسير واضعًا يديه على خده وبعين واحدة تفكر وتتيقن نصر الله تعالى، وأما غياب العين الثانية فكان يدل وإن دل على أنَّها مُحيت لأثر التعذيب الذي تعرض له الأسير.

**دوافع النضال**

بدايةً؛ التَّقدم للعمل الفدائي كانت بشكل ردة فعل على ما يقوم به جيش الاحتلال من أعمال نكيل بحق الشَّعب الفلسطيني، فيحدثنا "عامر" عن تلك المشاعر التي مر بها قائلاً "أصبح القتل والإجرام يمارس كل يوم ... أرواح الشهداء تصعد، دماء الجرحى تسيل... الدمار وإهلاك الحرث والنَّسل ... باختصار شديد، لم يعد الصمت محتملا... كان لابدَّ من التشمير عن ساعد الجد"[[3]](#footnote-3) ، إذن كانت أعمال الاحتلال الوحشية اتجاه الفلسطينيين هي الدافع والمحرك عند "عامر" للقيام بعمل ما يرد فيه على جرائم جيش الاحتلال.

وهذه المقدمة تجيء كتعليل، كتوضيح، كتبرير، كدفاع عن النفس، وليس بدافع القتل أو إلحاق الأذية بالآخرين، من هنا يحدثنا الراوي الرئيسي "عامر" عن هذا الأمر موضحا لنا بأن الظروف هي من تدفع بالإنسان إلى فعل أشياء صعبة وليست من طبيعته.

**هواجس المعتقل**

لابدَّ أن تكون بداية أي مرحلة اعتقال تحمل بين ثناياها العديد من الهواجس، فالمتعقل يبقى إنسان، ورغم أنَّ معتقلنا يحمل تجربة سابقة، إلَّا أنَّ الاعتقال يبقى يشكل تجربة لا يحب أحدًا أن تُعاد بالمطلق، لما فيها من ضغط نفسي وجسدي، من هنا كانت هناك هواجس عديدة تمر بذهن "عامر" تدفع به في غياهب المجهول، "... كيف سيصلون إلى الاعتراف دون أن يرونا نجوم الظهر والعصر... هل بإقعادي في الزنزانة يتصورون أن أنبس لهم ببنت شفة... يا لهم من أغبياء"[[4]](#footnote-4)، بهذه الأفكار يحدثنا بطل الرواية، فتبقى المشاعر الإنسانية حاضرة فيه ولا يمكنه أن يكون ذلك البطل الخارق الذي لا يفكر بالمخاطر التي تنتظره.

فيقول عن الفرق بين الحرية والمعتقل ".. يأتون بك من بعيد، حيث فضاء الحرية الواسع، ويحشرونك بين جداران ضاغطة وخانقة" [[5]](#footnote-5)، بهذا الكلام يحسم "عامر" الفرق بين الحرية والمعتقل، فالفرق شاسع بين الحالتين، وبالتأكيد لا أحد يريد أن يكون في الثاني، لما فيه من تأثيرات سلبية على الإنسان.

**ظاهرة الإيمان والتدين**

كما قلنا سابقًا؛ تعدُّ هذه الرواية من الأعمال الروائية القليلة التي قدمت الجانب الدِّيني بصورة إيجابية، وكعامل أساسي لصمود بطلها، وهي تؤكد على أن الدين والإيمان هو عامل ايجابي بالمطلق عندما يكون المعتقل مسلحا به، فأول عامل قام به "عامر" الدُّخول في الصلاة لما لها من تأثير نفسي ايجابي على من يقوم بها، "قم إلى الصلاة يا عامر، أرح نفسك في رحاب الله"[[6]](#footnote-6) ، وعندما يشتد الضغط النَّفسي عليه من قبل المحققين الذي يتناوبون على فريستهم يكون الإيمان أيضًا إحدى الوسائل الرئيسة للخروج من هذا المأزق، "... حسنا! عندي فكرة رائعة، سأغرق قلبي وروحي بذكر الله... لا إله إلا الله.. ما في القلب إلا الله.. حسبنا الله ونعم الوكيل"[[7]](#footnote-7) ، في كافة مراحل التحقيق كان الإيمان والتدين حاضرًا وبقوة، وكأن الكاتب يقول لنا بأن الصمود والإيمان يقترنان معًا، ولا يمكن لتحقيق الأول دون وجود الثاني.

من هنا وضمن هذا التدين والإيمان استخدم المحقق أيضًا الفكر الديني ومفهوم الإيمان كعامل هجوم على المعتقل لإضعافه ومن ثم سحب الاعتراف منه، فنجد المحقق المحتل رغم ثقافته الدينية اليهودية يتحدث بمنطلق الفكر الديني الإسلامي وكأنه ابن هذا الدين وليس من أتباع اليهودية، "ـ صباح الخير سيد عامر.. أعرفك على نفسي "كابتن شلومو" .. بداية هل صليت الفجر؟!

ـ ما رأيك أن نبدأ يومنا ببركات الصلاة..

ـ أريد الوضوء

ـ تفضل"[[8]](#footnote-8) ، بهذا المدخل السمح الذي يظهر الإيمان والاهتمام بالبالغ بالقيام بتعاليم الدين يتقدم "شلومو" من "عامر" وكأنه بكلامه هذا يتقرب نفسيًّا وعاطفيًّا من عدوه، فيريد أن يطمئن المعتقل وأن يكسب عاطفته لكي يوقع به في المصيدة.

فنجد الخطاب الديني حاضرًا عن المحقق عندما يستدعي زوجة "عامر" كوسيلة ضغط عليه لكي يعترف، فنجده يستخدم هذه اللغة، " ـ أتدري ماذا سنفعل معك إن لم تقولي ما عندك؟ أتنسين أنكِ بنت وقد أصبحت بين أيدينا ..؟ أن نفعل ما نشاء، نحن نذكرك فقط ﴿ وَذَكِّرْ‌ فَإِنَّ الذِّكْرَ‌ىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ...[[9]](#footnote-9) ، إذن المحقق لا يتوانى عن استخدام أي لغة وأي ثقافة وأي خطاب في سبيل الوصول إلى الاعترافات، حتى لو كانت ثقافة تتناقض مع ثقافته تمامًا.

لكن بعد أن يتم تجاوز هذه المرحلة بنجاح، نجد المحقق يتحدث بهذه الروح: "المطلوب الآن، أن تخلص روحك من هذا العذاب، وروح اعز الناس على قلبك.. يا رجل { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة }، أليست هذه من دينكم"[[10]](#footnote-10) ، إذن الثقافة الدينية حاضرة ومستخدمة من قبل المحقق، فهو على استعداد للحديث بأي لغة وأي ثقافة في سبيل تحيق هدفه، نزع الاعتراف.

ويعود "شلومو" إلى ذات اللغة التي يفهمها "عامر" لكي يضع قدمه في الخطوة الأولى نحو الهاوية، فيقول له محاولا إقناعه باستخدام جهاز كشف الكذب: "ـ إنها مبادرة شخصية مني .. {قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } أليست هذه من القرآن؟"[[11]](#footnote-11) ، من يستمع إلى المحقق يفتكره من المؤمنين بالقرآن، فهو يستخدم لغة وثقافة عدوه لكي يشعره بالاطمئنان أولا ثم يدفعه نحو الاعتراف، فلغة الخطاب مهمة لإضعاف الخصم.

وعندما تبدأ أساليب التعذيب الجسدي "لعامر" نجده يستحضر موقف بلال بن رباح كمثل يستفاد منه ويعزز حالة الصمود في وجه الجلاد، "...وكان يصرخ أحيانا من الألم الشديد.. بمقولة بلال الخالدة: أحد، أحد"[[12]](#footnote-12) ، بمثل هذه الثقافة استطاع "عامر" أن يتجاوز كافة مراحل التحقيق وان ينتصر على محققيه، رغم ما يملكونه من خبرة في هذا المجال.

**القرآن الكريم**

هناك العديد من الآيات القرآنية جاءت في الرواية، ونكاد لا نجد ثلاث صفحات بدون وجود آية قرآنية أو ثقافة دينية، فمفهوم الدين الإسلامي كان حاضراً عند الكاتب، وهذه الثقافة الدينية وعملية الصمود تشكلان أهم العناصر التي تناولتها الرواية.

فكان "عامر" يمثل رجل الدين والمناضل في ذات الوقت، من هنا كانت الآيات القرآنية تتدفق في كافة مراحل الاعتقال وبكثافة، { إذ يغشيكم النعاس أمنة منه } ، { جئتك من سبأ بنبأ عظيم }، { إذا جاءكم فاسقا بنبأ فتبينوا } ، { إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث } ، الشواهد القرآنية عديد كما قلنا وهذا يعطي الرواية صفة "رواية إسلامية" إن اعتبرنا بأن هناك أعمال رواية إسلامية.

**الحيوانات**

تأخذ صورة الحيوانات بشكل عام الصورة السلبية، فالعديد من الأعمال الأدبية عندما تذكر الحيوانات تكون حالة البطل أو الراوي في غاية السوء، وهو يستخدمها كتعبير عن اشمئزازه وحنقه على الواقع، واعتقد بأن رواية "حين تركنا الجسر" عبد الرحمن منيف الذي جعل "زكي النداوي" يصب لجام غضبه على كلبه "وردان" ورواية "مفتاح الباب المخلوع" لراشد عيسى، تمثلان أهم نموذج لهذه الظاهرة.

"وليد الهودلي" يؤكد هذا الأمر فالحيوانات تأخذ الصورة السلبية، فيصف لنا المحقق بهذا الوصف: " أقسم أن سم هذه الأفعى الملساء أسوء من تلك الأفعى الرقطاء"[[13]](#footnote-13) ، فهنا اخذ المحقق صورة الأفعى والتي تمثل العدو والقاتل في ثقافة كافة الشعوب وينسبها للجلاد، وكأنه يختزلها في شخص المحقق، "فعامر" في هذا التشبيه يريد أن يعطي الصورة السلبية المطلقة لجلاده، فاستخدم صورة الأفعى.

ويشبه المحقق الذي استخدم أسلوب العنف بهذا الوصف، "ثم تجد هذا القرد يتعب من كثرة الهز فيتوقف لاهثًا"[[14]](#footnote-14) ، صورة ساخرة للمحقق وأيضًا تحقيرًا له، فالقرد يجسد صورة المسخ وأيضًا يحمل معنى التحقير.

وعندما يتكالب على "عامر" مجموعة من الجلادين يصفهم: " خمسة أحاطوه، وتناوشوه كما تتناوش الضباع فريستها"[[15]](#footnote-15) ، نجد الكاتب استخدم ذكر الحيوانات بشكل ملفت للنظر عندما بدأ التعذيب الجسدي، وكأنه بدأ يشعر ـ في العقل الباطن ـ بما يعانيه بطل الرواية "عامر" فانعكس ذلك عليه من خلال هذا الاستخدام للحيوانات كتعبير عن حنقه على هؤلاء المجرمين.

**استحضار التاريخ والمعاصر**

أثناء الصِّراع لا بدَّ من استحضار كل العوامل المساعدة على تحقيق النصر، من هنا تم استحضار التاريخ العربي الإسلامي الزاخر بالعديد من المواقف التي يمكنها أن تكون عوامل صمود، فأثناء التحقيق المستمر الذي قام به أربعة من المحققين، "داني وبنيامين وشلومو وإيلان" كان لا بد "لعامر" أن يستحضر مواقف من التاريخ ليدعم فكرته عن هؤلاء المحققين فيقول عنهم: "وكان أحيانًا يراهم بوجوههم التي أخذ فيها الحقد مواقعه، وكأنهم زعماء بني قريظة والنضير وقينقاع، عندما كانوا يجتمعون للتآمر على الدعوة الإسلامية"[[16]](#footnote-16) ، هذا الاستحضار كان يقدم دعما فكريًا ومعنويًا "لعامر" لكي يتجاوز هذا الهجوم المتواصل والمكثف من قبلهم.

وأيضًا نجده يستحضر فكرة القرآن الكريم عن اليهود الذي اعتدوا على السبت من خلال نصب الشباك للسمك، وإخراجه من الماء يوم الأحد، وهذا الأمر تم التفكير به مليا عندما قابل "عامر" رفيقه في العملية "إبراهيم" فأراد الاطمئنان عليه لكنه خشية أن تكون هناك أجهزة مراقبة "تذكر قصة تحايلهم على صيد الحيتان يوم السبت، وتذكر حملات الاعتقال التي كانوا يستغلون فيها يوم السبت"[[17]](#footnote-17) ، إذن كان التاريخ يخدم "عامر" في صموده وتجاوز ما يعانيه من تعذيب.

**الصور الفنية**

رغم موضوع الرواية الصعب، الاعتقال والتعذيب، إلَّا أنَّ الكاتب استطاع تجاوز هذا الموضوع المؤلم له ولنا، وقدم لنا صورًا أدبية تستحق التأمل والتوقف عندها، فمن هذه الصور تذكر "عامر" لطبيعة فلسطين الخلَّابة لكي يريح نفسه بعض الشيء مما يسببه له المعتقل من ألم، "تذكر يا عامر عندما كنا نخرج إلى الجبال المجاورة، تداعب وجوهنا نسائم الهواء الطلق، نمتع أبصارنا بالجبال، ذات الحلل الزيتونية الخضراء.. تتهادى بين أغصانها شلالات الشمس الذهبية، تعانقها بعشق أبدي"[[18]](#footnote-18) ، بهذه الوصف للطبيعة كان "عامر" يريح نفسه ويخرجها من المعتقل، وهو أيضًا أراحنا نحن المتلقين لهذا النص، فمثل هذا التصوير لا بدَّ أن يترك فينا أثرَا ايجابيَّا، ويجعنا نستمتع بمثل هذا المشهد الخلاب.

قدرات التصوير الفنية لم تقتصر على الطبيعة وحسب، بل أنَّ الكاتب قدم لنا صورًا للمعتقل لكي نشعر بحجم الجحيم الذي يعيشه "عامر"، "وراء تلك الجدران الصماء، يلوثون كل شيء، يسمح المرء ويرى كل ما هو قبيح، جدران كقطيع العذاب لا تفقه إلا جملة واحدة، خنق أنفاس البشر، الشمس تفيض يدفئها، وتجود بضوئها على الكائنات، ما عدا تلك البقع الصغيرة التي بنوها لتعذيب بني الإنسان"[[19]](#footnote-19) ، بهذا الصور المتناقضة بين الشمس وما تحمل من ضياء ورمز للحرية والفضاء المفتوح، وبشاعة المعتقل بجدرانه وظلامه ورطوبته، يجعلنا الكاتب نتعرف على المفارقة بين الإنسان في الطبيعة وبين الإنسان في المعتقل، الفرق لا يوصف ولا يقدر، هناك عالمين متناقضين لا يلتقيان مطلقًا.

أما وصف حالة المعتقل وما يعانيه من عذاب فكان من خلال هذا المشهد المؤلم، "ظهرك إلى الأمام، مع تقيد يديك إلى الخلف.. أنَّه عذاب بطيء، يسافر بك سفرا شاقًا، لساعات طوال تغيب فيها شمس إنسانية الإنسان، تنكشف، وتغرق في بحر لجي من الظلمات، تهاجمك أشباح الظلام، وخفافيش هذا الليل الطويل من كل جانب"[[20]](#footnote-20) ، أُجزم بأن مثل هذا الوصف للمعتقل يجعلنا نرفضه بكل عزيمة حتى لو كان يمارس ضد أكثر الناس إجرامًا على وجه الأرض، فهو وصف يجعلنا نقف بوجه كل من يستخدم التعذيب، فبما بالنا إن كان هذا الأمر يمارس ضد بني جلدتنا!.

قبل الفض من "ستائر العتمة" نقول بأن هناك انسجام واضح بين العنوان والنص الروائي، فكان العنوان يوحي لنا بأن المضمون سيكون عن ظلام المعتقلات، وهنا كان الكاتب موفق في تسمية الراوي، كما نجد صورة الغلاف تخدم مضمون النص، حيث هناك وجه رجل بلحية وأمامه قضبان حديدية.[[21]](#footnote-21)

**مقتطفات من الرواية وأسلوب ونفسية الكاتب فيها**

أكثر الكاتب من الألفاظ الاسلامية التي تنم عن قوة ايمانه التي كانت السبيل للصبر المعين على تحمل مشاق السجون والتعذيب والتحلي بالصلاة التي قال الله تعالى { واستعينوا بالصبر والصلاة} وقبل البدء بالتعرف على الاخرين كان يسأله هل أدى الصلاة ولا يسأله ما أسمك ومن ذلك ما ورد في الرواية قوله :

صباح الخير سيد عامر .. أعرفك على نفسي " كابتن شلومو " .. بداية هل صليت الفجر؟!

ما رأيك أن نبدأ يومنا ببركات الصلاة..

هل طلع الفجر؟!

نعم، الساعة الرابعة والنصف الآن..

أريد الوضوء..

تفضل..[[22]](#footnote-22)

هذه الروح الحريصة على الصلاة المفعمة بالإيمان حقًا هنيئًا لها أن تنتصر

كان عامر حريص على أداء الصلاة بينما كان رجل المخابرات هذا يسخر منه ويبين أنه حريص على الصلاة مثله فأي صلاة لعدو لا يعرف للرحمة باب .

وقد كانت آيات الله تعالى تُذكر لتهدأ بها النفوس التي تطمئن بذكر مولاها ، وكيف لا وهو معهم أينما كانوا وقوله الحق { وكان حقًا علينا نصر المؤمنين } آيات ترتل من الكتاب المنزل لتشرح صدور قوم مؤمنين وعبارات تكشف ستائر الظلمة والوهن وترفع منارات السَّكينة والثبات على الحق، ومن ذلك قوله:

ليس لك إلا الله .. ارفع حاجتك إلى مولاك واصبر ( وما صبرك إلا بالله ). هذا هو المحك يا عامر.[[23]](#footnote-23)

أجل لقد انهزم العدو أمام أجساد لا تركع إلا لله تعالى وأستبدل عذابه الجسدي للأسرى بعذاب نفسي وأنى له بذلك الانتصار على نفوس لا تتنفس إلا الذكر والقرآن الله الله في أمر أسرانا

ومما ورد في الرواية قوله:

 رفعوا العذاب الجسدي واستبدلوه بالعذاب النفسي، وهذه الحالة الشاقة التي وصلت إليها تحتاج إلى أن تسارع وتلجأ إلى حمى الله. تفيأ ظلال جنتك.. كن مع الله ترَ الله معك . { ليس لها من دون الله كاشفة }.[[24]](#footnote-24)

لقد استخدم الكاتب عبارات تنم عن قوة الثبات أمام المحققين الأعداء وكيدهم الدفين انتصرت أجساد ونفوس اسلامية على جيف صهيونية تعبت اوار المتكلمين منهم حسبوا أن الحق ليس له أهل وأن القهر ليس له دم وأن الاعترافات عن الأخوة والأحباب أمر هين كلا وربي المهيمن، فتطفح أكيالهم ولتتوقف قلوبهم وليسقط قناعهم ولتحيا عنادة الأبطال الصامدون ومن ذلك قوله في الرواية:

أصبح عواء هذا المحقق لا يسمع منه إلا لهاث كلهاث الكلب، ( إن تحمل عليه يلهث، وإن تتركه يلهث)..[[25]](#footnote-25)

وقوله:

لقد طفح الكيل أنت رجل عنيد...[[26]](#footnote-26)

لم يبع الأسرى القضية والوطن وضحوا بالغالي والنفيس والأهل والأبناء والمال والولد ليس تضحية تخلي ورياء وإنما تضحية لأجل الحفاظ على أعراضهم الشريفة والدفاع عن القضية العريقة، ومن ذلك قوله في الرواية:

يا رجل قرر فيه مصلحتك ومصلحة زوجتك وأختك وأمك، ما زالت أمامك فرصة ذهبية.. اعترف بأي شيء...[[27]](#footnote-27)

كانت إجابات الأبطال قيد على أعناق السجان والمحقق والمتخابر والمتعاون مع الهوادة والعبدة الخنازير ، ومن ذلك قوله في الرواية:

ماذا قلت يا عامر

قلت: لا إله إلا الله

الكلمة التي يقتل بها معنوياتهم[[28]](#footnote-28)

رغم وقاحة العدو وكفره وجهله وبغضه وحقده وظلمة قلبه وقبره بإذن الله ، لم يترك العدو وسيلة إلا واستخدمها للتعذيب الجسدي والنفسي ولم يفلحوا بشيء أمام صمود الصامدين إن أكبر تعذيب نفسي مر على الأسرى الكرام هو أثناء التعذيب النفسي والتحقيق كان العدو يسخر من آيات الله تعالى ويستخدمها في غير موضعها، فتتمعر وجوه المسلمين الأسرى غيرة على دين الله وآياته، ومن ذلك قوله في الرواية:

المطلوب الآن، أن تخلص روحك من هذا العذاب ... يا رجل { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} أليس هذا من دينكم؟

" أيها الأغبياء: تلوون أعناق النصوص، أصبح من الضروري الآن، أن لا أعترف.. الاعتراف هو الهلاك بعينه، إنه الجحيم الذي لا أطيق.[[29]](#footnote-29)

**مشهد ( في رحى السجن )** تعرض الكاتب لقضية عصافير السجن التي لا تستحق أن يطلق عليها عصافير الاسم الذي يجمل معاني البراءة وبيَّن الكاتب أن العدو لفشله الذريع التجأ إلى هذا الذرع المنافق للتحايل على الأسرى وأخذ الاعترافات التي لم يأخذوها رغم شتَّى أنواع التَّعذيب الجسدي والنفسي وكان هذا الأسلوب من نجاح بعض محاولات العصافير كانت بسبب قوة الرابطة الأخوية بين الأسرى التي شوهها العدو وكسَّر روابطها فأصبح الاسير يخشى على نفسه من الأرض التي يبسط جسده المنهك عليها خشية أن تستمع لنبضات قلبه وأسرار صدره، ومما ورد في الرواية قوله:

الحذر، الحذر يا عامر.. العيون التي تراقبنا كثيرة .. ما أدرانا؟ ألا يوجد من بين هؤلاء " عصافير "؟!

" الآن تأتي لتحذر من العصافير يا نبيل.. بعد أن وقعت الفأس في الرأس؟ ولكن هذا مؤشر جيد.."

ألا تطمئن لي يا نبيل؟

سأل مستغربًا: الثقة بيننا كما تعلم مئة بالمئة، ولكن ما يدريني، وأنت الآن، في السجن، أنك سترفع ما أقوله لك إلى التنظيم.. والتنظيم قد يكون مخترقًا.. أتتصور أنهم يتركون تنظيمًا في السجن، دون أن يزرعوا فيه مجموعة من " العصافير"؟[[30]](#footnote-30)

ورغم الآلام والحيرة وعدم الثقة وتلجلج أواصر الأخوة والقلق المخيم على الصدور إلا أن نبيل وعامر كانا يتبادلان المزاح ويدعو بعضهما للابتسامة والتوكل على الله وأخذ الحذر وتبادل النصائح، ومما ورد في الرواية قوله:

ابتسم له ابتسامة حانية احتضن بها آلامه.. وضع راحة يده على كتف صديقه وقال:

سرك لا تخرجه من صدرك.. " صدور الأحرار مقبرة الأسرار"[[31]](#footnote-31)

لقد استخدم الكاتب أسلوب التناص في كتابته للرواية ومنها:

التناص الديني : فقد أكثر الكاتب من الآيات القرآنية

{ ليس لها من دون الله كاشفة }

{ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة }

{ جئتك من سبأ نبأ عظيم }

{ إذ يغشيكم النعاس أمنة }

**التناص للأمثال والحكم:**

وقعت الفأس بالرأس ...

لقد قطعت جهيزة قول كل خطيب[[32]](#footnote-32)

ولقد كانت لغة الكاتب شاعرية تنم عن صدق العاطفة وقوة الايمان فقال مثلًا

صدور الأحرار مقبرة الأسرار

شد حيلك واعتصم بحبل الله

وكذلك استخدم ألفاظ دينية إسلامية تؤكد مدى تذكره طول المعتقل بالدار الآخرة

أمامك جحيم طويل

ما شاء الله، حمل وديع أعرفكم جيدًا[[33]](#footnote-33)

وتحلى الأسرى كما وضح الكاتب بأخلاق إسلامية وحبهم للسلام والامان وصدق الأخوة مع باقي الأسرى فقال : بالطبع أنا أحب السلام[[34]](#footnote-34)

حسنًا لنتفق إذا نحن أصدقاء[[35]](#footnote-35)

لكن وجود عامل الحذر شوش تلك المشاعر وآثر على نفسيتهم فقال عامر للآخرين:

لا يوجد ما يسرني معكم !![[36]](#footnote-36)

ولقد أصى النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم لغة العدو لأمن مكرهم وقد تعرض الأسرى لهذا الموقف ومما ورد في الرواية قوله:

أتدري ما هذه الأوراق؟

ولوح بها أمام وجه عامر

إنها إفادات إبراهيم ونبيل.. هل بقي لك شيء الآن، أتقرأ العبرية؟ [[37]](#footnote-37)

وكان عامر على شك مما في الأوراق لأنه لم يعرف يقرأ العبرية وشك أنها فخ لإيقاعه في الاعتراف ووسوسة لإقناعه أن رفقائه قد اعترفوا ولا سبيل له للنجاة لكن عامر ثبت على طريق الحق ولم يعترف بلفظة واحدة وطمئن نفسه بذكر الله وأن العدو خائن ولا أمان له ولا صدق ولا صديق ولا جنة تنجي الغريق ولا لفحة يتنفس منها كالنهيق بل فيه قهر وولوع بالنفاق الزهيق، ومما ورد في الرواية قوله:

أحضر لك إفادات أصحابك ... لقد انكشفت القضية بـأكملها يا عامر .. دعك من أوهامك.. أية أوهام؟ أنا لا أتكلم إلا الصدق[[38]](#footnote-38)

علينا أن ندرك تمامًا أن العدو لا على دراية بديننا ومعتقداتنا ولكنه يستخدم الآيات في غير موضعها والاحاديث في غير موقفها ومن ذلك في الرواية:

يا أخي دعك من الحديث عن الصدق نحن نعلم أن دينكم يجيز الكذب على الاعداء.. لا أقول إنك تكذب ولكنك لم تقل الصدق[[39]](#footnote-39)

وتعرج الكاتب لاستخدام المونولوج الداخلي الذي تتكلم فيه الشخصية مع نفسها بنفسها، وذلك في هذا الموقف ، وبعد أن بزغ نور الحق وثبت عامر على موقفه ولم يصدق أن أصحابه قد اعترفوا وأن العدو يكذب شرح صدره وثبت على موقفه أكثر فأكثر ولام نفسه ماذا لو صدقهم لما فعل ذنب لإيقاع أصحابه بذنب لم يقترفوه ومما جاء في الرواية قوله:

ماذا لو أن أصحابك اعترفوا فعلًا عليك؟! هل تصدقهم يا عامر؟ { إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا }

كيف إذا جاء بالنبأ يهودي صهيوني؟! ليس فاسقًا فحسب، بل مخابرات أيضًا يا للكارثة !! إن صدقتهم...[[40]](#footnote-40)

ماذا لو طلبت منه أن يعيدني إلى الزنزانة ساعة أو ساعتين.. لا لا يا عامر سوف يعتبر ذلك نقطة ضعف.. سيشعر بذلك إن اقتربت من النهاية التي يتمنونها.. ستريهم نفسك بأنك أصبحت على حافة الانهيار.. إياك إياك أن تفعل[[41]](#footnote-41)

استخدم الكاتب أساليب انشائية شتى ومنها:

إياك إياك : أسلوب تحذير

ماذا لو طلبت منه أن يعيدني : دمج بين أسوبي الاستفهام والشرط في جملة واحدة وهذا يدل على شدة القلق والحيرة التي في نفس الاسير

شد حيلك واعتصم بحبل الله : أسلوب أمر غرضه النصح والارشاد والالتماس

أقسم بالله العظيم على أنهم لن ينالوا مني كلمة واحدة : أسلوب قسم يدل على قوة الاصرار والعزيمة

عونك ربي يا لطيف يا لطيف : أسلوب نداء غرضه الدعاء واظهار الاستضعاف

لم كل هذا العذاب يا رجل : أسلوب استفهام غرضه التقرير

كذلك استخدم الكاتب أسلوب السخرية في قوله:

حركات السلام التي ما فتأت تتباكى على السلام الضائع، في نفس الوقت تشارك الآخرين في نتف ريش حمامة السلام المزعومة..

وأورد الكاتب ألفاظ عبرية والتي تبين مدى حقارة العدو وأنه لا يعرف للأدب عنوان مثل كلمة

 ( شيكت )

ماذا تريد؟

أريد مي

مفيش مي

أريد الماء للصلاة

" شيكت " أخرس

وأظهر الكاتب بعض صور التعذيب التي تعرض لها الأسرى

لا يدري كم مضى من الوقت قبل أن يجد أفعى ضخمة تتلمظ ترسل فحيحها وتتأهب للانقضاض عليه حاول الفرار إلا أنه وجد السبيل أمامه مغلقة انقضت عليه والتحم معها وتمكن من قبض رقبتها من مفصل الرأس ....وراح يحمد الله أن نجاه من هذه المعركة المرعبة وقال في نفسه:

أنهم الأفعى،

والحرب بيننا ما زالت سجالًا:

سأخنق كل أساليبهم الخبيثة بإذن الله:[[42]](#footnote-42)

{ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين }

**وفي مشهد ( الزنزانة مرة أخرى في الظلمات )**

وضح الكاتب أساليب السخرية التي تعرض لها الأسرى رغم العذاب ومنها

من فضلك أريد حبتي أكامول

قهقه بأعلى صوته وقال

هل تحسب نفسك في فندق مفيش أكمول

من حقي أن تحضر لي أكمول [[43]](#footnote-43)

عذرا أسرانا فلم يدعوا حرمة إلا انتهكوها ولم يتركوا حق إلا رفعوا ضده لواء الباطل

وقال

حضر حالك للحمام ...

هيا لقد انتهى الوقت .. أسرع

هذا في الدين حرام ، لا يجوز أن تنظر إلى عورتي

اسكت ما فيش هنا حرام

حسبنا الله ونعم الوكيل على الاعداء والسجون اللهم عليك بأعدائك الذين لم تحرم شيئًا إلا انتهكوا حرمته ، اللهم استر عورات المسلمين وكن مع الأسرى والمعتقلين وشد أزرهم وحررهم ولا تؤاخذهم بما ينتهك منهم بسبب العدو وليس برغبة منهم

حقًا موقف تدمع له العيون ويعرق منه الجبين

وما لنا إلا الدعاء وحسبنا الله ونعم الوكيل

{ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين }

قوة الانفس والأرواح الإيمانية للأسرى قهرت العدو وجعلته يتلوى غيظًا ويسلو أنفسهم بذكر الله وورد ذلك في الرواية

ماذا تراهم سيقولون؟

هل يعودون لأسلوب العنف الجسدي القديم؟

عاد إلى نفسه وقال: دعك من هذه الاسئلة التي لا نهاية لها.. المهم كن مع الله ولا تبالي وما ينزل من السماء تتلقاه الأرض، أنا الارض التي فيها كل مكرهم[[44]](#footnote-44)

وبين كل جولة وأخرى بين جولات التحقيق كان الأسير يمد نفسيته بحبال من الوصل والتقرب إلى الله ولا يلتفت للضعف والوهن والتشتت بل يوكل أمره إلى الله نصرة لدين الله والمقاومة فقال

قام عامر ليصلي الصبح ويستعد للجولة القادمة[[45]](#footnote-45)

ورغم استمرار المقاومة من المجاهدين والأسرى والمعتقلين والأهالي الصامدين إلا أن العالم صامت أمام ما يحصل والعدو كلما رجع خطوة بسبب المقاومة تقدم خطوات بسبب الصمت العربي ومما ورد في ذلك متعجب منه الأسير قوله:

رحل الاحتلال من الباب وعاد من الشباك والباب في آن واحد ياله من احتلال لعين يأبى أن يحلَّ عنا[[46]](#footnote-46)

والعودة للتحدي كان عودًا أحمدًا وجاء ذلك في الرواية بقوله

أراك غاضبًا أم أنك مستعد لجولة عناد جديدة!!

أنا لست غاضبًا

... لا حول ولا قوة إلا بالله[[47]](#footnote-47)

وقد كان من محاولات الاخلال بمواقف الأسرى الثابتة ومحاولة ثنيهم لتراجعهم عن موقفهم

 ما جاء في هذا الموقف في الرواية:

سنعتقل زوجتك وأختك وأمك أتحسب أن المخابرات الإسرائيلية تستسلم بسهولة

إذا عرف السبب بطل العجب لهذا جاءوا بك كي تسمع تحقيقهم مع تلك الفتاة وقد تكون مجرد تمثيلية يمثلونها عليك يا عامر بل هو من المؤكد[[48]](#footnote-48)

هذه من مواقف الخداع التي يعرضون الأسرى لها لتراجعهم وقد جعلوا نموذج التحقيق فتاة وليس رجل لماذا لأن العدو يعلم كم يغار المسلمون الفلسطينيون على الحرمات ويدفعوا المستحيل للحفاظ عليها وصونها من كل أشكال الإهانة هكذا ما تربى عليه أجيال موائد القرآن الكريم ولكن العدو في مثل هذه المواقف رغم احترامنا الشديد للأسيرات والغيرة الشديدة والدموع المستجيرة عند ذكر مواقف تعذيبهن إلا أن هذه المواقف للعدو كاذبة عندما يعرضوها على الأسرى الرجال لجعلهم يتراجعوا وتدفعهم الغيرة الاسلامية وصون الحياء والعفة والدفاع على العرض أن يعترفوا لأن العدو على دراية بقمة غيرة المسلم ولكن العدو كما جاء في الرواية:

إنهم لا يملون من التهديد والوعيد { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا }

ومن أشكال التعذيب النفسي التي يستخدمها العدو وهو على دراية بها استخدام الصور المدبلجة للأسير الشريف مع فتاة وضيعة بحركات خسيسة

ماذا كان موقف الأسير عندما عرضت أمامه هذه الصور وهو واثق بنفسه وأنه لم يفعل ذلك وماذا قال كما جاء في الرواية:

ابتسم عامر وتلقى هذه الصور ببرود

كيف يا عامر لو نشرنا هذه الصورة عندكم في البلد

يا لكم من أغبياء أصحاب أفلام محروقة

لم يحدث في السابق أن نشرتم مثل هذه الصور التي تفضحكم قبل أن تفضحنا

ثم هب أنكم قمتم بهذا العمل الحقير فهذا لا يضيرني

لأن الله مرادي وأنا الناس فقد أصبحوا أيضًا على دراية بهذه الاساليب الخبيثة

ألا تهمك نشر هذه الصور

أترضون أنتم عن أنفسكم عندما يقال بأن المخابرات الإسرائيلية تستخدم هذه الاساليب الخسيسة؟[[49]](#footnote-49)

لقد كان سبب استخدام العدو لمثل هذه الصور والوسائل القبيحة هو قوة صمود الأسرى أمامهم وصدق مرادهم وعلى الله قصد سبيلهم فهو لن يضيعهم ولم يخذلهم وكما جاء في الرواية كان السبب للاستخدام العدو لتلك الوسائل هو كالآتي:

نحن لا نرضى هذا ولكن ماذا نفعل إذا اضطررنا لذلك ماذا نفعل إذا واجهنا عنيدًا مثلك؟ " لا يفل الحديد إلا الحديد"[[50]](#footnote-50)

كان هذا الصمود والثبات ورباط الجأش والشجاعة وفراسة المؤمنين هي السبب التي دفعت العدو للبحث عن شتى الطرق لتشويه أنفس الأسرى الميامين ولكن أنى لهم ذلك والله مولانا ومولاهم ولا مولى لهم، وأن وسائلهم لا تزيد إلا بيان بضعف ذلك العدو وكذبه

لقد تمتع الأسرى بالذكاء وقوة البديهة وشدة الملاحظة وسرعة تنبئهم لكيد العدو وخططه المزورة فجاء في الرواية ما يبين ذلك:

أدركت خطورة هذه اللعبة تذكرت ما كان يقال قبل أن أُعتقل

لا يمكن أن يخرجوك منها إلا كاذبًا إن هدفهم هو الحصول على اعتراف كامل من المعتقل ...ماذا يريدون من السؤال الاخير: هل عملت عملًا غير أخلاقي؟ كان حاضرًا في ذهني أن ماكنة الكذب هذه لا تعتبر دليلًا...[[51]](#footnote-51)

لقد كان هم الأسير أن يوصل لأخوته تجربته من السجن وأن يحذرهم مما يفعله العدو من وسائل شتى قاهرة وحاقدة ومما جاء في الرواية:

في ساحة السجن كان عامر يتوسط نبيل وابراهيم يذرعون الساحة بشكل دائري ... يحاول فيها إعمال ما لديه من قوة ذهنية يضغط على عواطفه ويكظم غيظه وتتكلم الحكمة على لسانه

أنقيم تجربتنا بهدوء ؟

نقف على أخطائنا ونزود بها إخواننا بما وصلنا إليه

الكيس من اتعظ بغيره

نحن حاولنا قدر استطاعتنا الاستفادة من تجارب الاخرين لنضع الان تجربتنا بين أيدي إخواننا للاستفادة منها لنتجرد من أنفسنا ...[[52]](#footnote-52)

وهذا ما فعله الاسرى حقيقة كما لاحظناه من الاسرى المحررين الذين لخصوا تجاربهم ونفعونا بها واستفاد منها الفلسطينيون ومن يتعرض للأسر بشكل عام في الوطن والشتات وهذه الرواية التي بين يدي تجربة حقيقية لما رآه في السجون من تعذيب ومغامرات وثبات وصدق.

لقد كان للصليب الاحمر دور في معاملة الاسرى وما جاء في الرواية قولهم:

نحن الصليب الأحمر نريد مساعدتك ... هل يضايقونك بشيء؟

نعم ألا ترى حالي

وسئلت عن أشكال التعذيب

ماذا تريد من الأهل في الخارج؟

بلغي سلاماتي قولي لهم أني بخير[[53]](#footnote-53)

أجل هذا هو الصليب الأحمر هل حقًا يبلغ للعالم وحقوق الانسان أشكال التعذيب التي يتعرض لها أسرانا الأبطال والتي لا توصف بوصف، أم هل فقط مهمتهم تبليغ السلامات من الأسرى الممزوجة بالحنين والدموع والشوق وهل هذا السلام الذي يبعثه الأسرى سلام أخير أم ما زال بعده سلامات أخرى رغم ما يتعرض له الأسرى إلا أنهم يجعلوا ألامهم تجرح في قلوبهم ولا يوصلون لنا إلا السلامات حتى لا نقلق عليهم وكيف لنا أن لا نقلق وحتى لو لم يخبرونا بما يروون إلا أن قلب الأم دليل ففي كل آآآآه من الأسير يكون صداها في قلب أمه وأخوته ويكون جوابًا لها الدعاء بفك أسراهم في القريب العاجل.

الله الله في أمر أسرانا يا من تسمي نفسك بحقوق الانسان

ونحن هنا في فلسطين لقوة انسانيتنا لا نعترف بكي...

**مميزات الرواية**

1. تعتبر هذه الرواية بحق وثيقة هامة تكشف أساليب المخابرات وما يمارسونه من قمع وتعذيب بحق المعتقلين داخل السجون، وقد أجاد الكاتب في رسم وتوضيح هذه الأساليب بصورة بالغة الدقة والعمق، بحيث تكشف جُلَّ هذه الأساليب وتوضحها للمعتقلين الجدد الذين لم يسبق لهم تجربة الاعتقال وللذين لم يمروا بها. وبالتالي تكون عونًا للمعتقلين لئلا يقعوا تحت تأثيرها وينخدعوا بها!

ويبدو أنَّ الكاتب قام باستقراء وتتبع كل أساليب المحققين في السجون، ومن ثم أراد أن يكشفها ويرتبها في صورة منطقية ويجعلها تنصب على شخص واحد هو (عامر) بطل القصة، لأن تلك الأساليب لا تمارس على شخص واحد غالبًا، بحيث يستنفد المحققون كل ما في جعبتهم من الوسائل التي تم استحداثها وتطويرها.. فلما كان ذلك كذلك لجأ الكاتب إلى حيلة بارعة؛ حيث قام باستقصاء ما تم ممارسته بحق عدد من المعتقلين، ثم رتبه في صورة منطقية وجعله يتم على شخص واحد اسمه "عامر" بطل الرواية.

1. إلقاء الكاتب الضوء على ظاهرة العصافير وتفكيك عناصرها. وهو من وجهة نظري جدير بذلك لمعايشته هذه التجربة ولدقة الملاحظة التي يتسم بها. إن ظاهرة العصافير تلك، لم تلق التشريح والتوضيح والتحليل الكافي حتى الآن. وكل من يسمع عنهم يتوهمهم أسطورة من الأساطير تستعصي على الفهم والتوضيح، وأنها من الصعوبة بمكان بحيث نضعها في سياقها النفسي والموضوعي..
2. هذه الرواية اعتبرها موقع المجد من الكتابات الأمنية التي يجب الحظر منها والتعرف عليها لتفاديها .

**أخطاء في الرواية**

1. خطأ وقع فيه الكاتب عندما أخذ يشرح ما يدور في عقل رجال المخابرات الإسرائيلية الذين تولوا التحقيق معه وما يدور بينهم من أحاديث، فمثلا يقول ص71 :" لقد هالهم هذا الصمود. (وشلومو) في قرار نفسه يزداد إعجابا بهذا الرجل، ويفسر لنفسه سر هذا الصمود بأنه رجل يحمل فكرًا، يحمل إيمانًا، وصموده بنيان قوي، لا يقف على الهواء أو على أمواج البحر، وإنما على أساسات راسخة وأرض صلبة، وستكون هزيمتنا السَّاحقة عندما يكثر أمثال هؤلاء الذين يناضلون بهذا الإيمان الراسخ كالجبال، أنه يفهم جيدا مع من يتعامل، يعرف اليهود حق المعرفة يعرف أن مواثيقنا سرعان ما ننقضها قبل أن يجف حبرها".

هذا الحوار لا يمكن أن يدور بين رجلين من رجال المخابرات الإسرائيلية بتلك الصراحة والمكاشفة، لأنهم يعتقدون أن ما يقومون به حق وصواب، لنظرتهم الاستعلائية إلى كل شعوب الأرض. وإذا كان لابدَّ أن يكون هذا الحديث فالأفضل أن يكون حديث نفس وليس حديث يدور بين ضباط إسرائيليين في مكاتب التحقيق.

1. اضطراب الكاتب في أسلوب السرد حيث يتحول من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، فتجده يسرد القصة على لسان عامر بضمير المخاطب ثم نجده يتحول من ضمير المخاطب إلى ضمير المتكلم، وبهذا تشعر بأن بين يديك سيرة ذاتية للكاتب وليس رواية أدبية، وأخطر شيء في هذا الأسلوب أن القراء غالبًا ما يستقر في ضمائرهم أن القصة المروية إن هي إلا ترجمة ذاتية لمؤلفها وأنها وقعت بتفاصيلها، ويبدو أن الكاتب أدرك خطورة ذلك مما قد يعرضه للمساءلة لما ما جاء على لسانه من اعترافات خطيرة!. وهذا ما جعله يتحول من ضمير المتكلم (أنا فعلت) إلى ضمير الغائب (هو فعل)، كأنه بهذا ينفي التهمة عن نفسه ويلصقها بعامر..
2. ومن عيوب هذه الطريقة ، أقصد طريقة السيرة الذاتية، أن جميع الحوادث تسرد من خلال وجهة نظر البطل الذي يسرد القصة، ولا يستطيع أن يتعرض للمشاعر الداخلية للشخصيات الأخرى، وإنما يصورها من الخارج فقط، أمَّا إحساسات الذاخرة بين الضلوع وحنايا الصدور فلا يتعرض لها.
3. المبالغة في تصوير قضية ( عصافير السجن ) ظاهرة (العصافير) داخل السجون. والمقصود بمصطلح العصافير: العملاء الين يمثلون دور المعتقلين الشرفاء داخل السجون حتى يتمكنوا من خداع المعتقلين الجدد وأخذ اعترافاتهم. المعلوم أن هذه الظاهرة يستخدمها العدو فيجعل في كل زنزانة عصفور واحد وأما الكاتب فقد جعلهم مجموعة عصافير ولو كان ذلك حقيقة لأدى إلى انكشاف أمرهم فهل ذلك صحيح أم ماذا ؟ وقد تبين ذلك في الرواية وتمثلت هذه الظاهرة في تلك الرواية في الشاب الذي زُجَّ به المحققون إلى زنزانة عامر. وأخذ الكاتب يشرح لنا كيف أتقن هذا العصفور تمثيل دور المجاهد الذي لم يخرج من التحقيق، وكيف بدت على وجهه آثار التعذيب الرهيب الذي حوله إلى كهل وهو لا زال في ريعان الشباب، بالإضافة إلى آثار التعذيب النفسية غير المرئية التي جعلته مهووسًا موسوسًا حذرًا.. ثم ينتقل الكاتب من هذا النموذج الفردي المتقن للعصافير إلى نموذج الجماعي الأكثر اتقانًا للعصافير، وكأنه دور في مسرحية أتقن كل واحد منهم دوره المنوط به بمنتهى الدقة والاحكام. وتمثل ذلك في تنظيم جماعي تم بواسطته خداع نبيل، وإبراهيم.. رفاق عامر في نفس القضية.

**توصيات الباحثة**

حبذا لو زاد الكاتب إلقاء الضوء بشكل أكبر على ظاهرة العصافير أو أن تزيد الكتابات بهذا الصدد لنتمكن من تفادي مثل هذه الحماقات وعدم الاستهانة بمثل هذه الظواهر وعدم الاستبعاد أن هذا الأسلوب سيتطور في المستقبل ليصبح تأثيرهم ينصب على غسل أدمغة المعتقلين وتشكيكهم في دينهم وزرع الشكوك التي يصعب إزالتها، كما فعلت الحركات الباطنية في بداية انتصار الإسلام، بحيث وجد مقاصد لدى المنظرين الأوائل التي ينتسبون إلى البيئات الدينية والحضارية المجاورة، فأخذوا يروجون لعقائد جديدة دخيلة لتحقيق نوع من الضياع الفكري النظري، بعد أن كان هناك عجز واضح في مواجهة الدين الجديد على مستوى الفتوح على الأرض، فتم الطعن فيه من الظهر في عقائده النظرية!..

فنحن كشعب متعرض للانتهاك بكل نفس يدخل رئة مماته نرجو من الروائيين الفلسطينيين أن يكثفوا من توضيح هذه الظاهرة أهي فردية أم جماعية أم كلاهما معًا بحد يفوق الخيال كما وصفها الكاتب في روايته.

1. موقع / مدونة الاديب وليد الهودلي [↑](#footnote-ref-1)
2. دنيا الوطن .. http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/03/29/361512.html#ixzz3YhAOQv1L

Follow us: @alwatanvoice on Twitter | alwatanvoice on Facebook [↑](#footnote-ref-2)
3. ستائر العتمة، وليد الهودلي، ص 11 [↑](#footnote-ref-3)
4. ستائر العتمة، ص 12 [↑](#footnote-ref-4)
5. ستائر العتمة، ص 12 [↑](#footnote-ref-5)
6. ستائر العتمة، ص15 [↑](#footnote-ref-6)
7. ستائر العتمة، ص 42 [↑](#footnote-ref-7)
8. ستائر العتمة، ص 50 [↑](#footnote-ref-8)
9. ستائر العتمة، ص 81 [↑](#footnote-ref-9)
10. ستائر العتمة، ص 85 [↑](#footnote-ref-10)
11. ستائر العتمة، ص 79 [↑](#footnote-ref-11)
12. ستائر العتمة، ص 139 [↑](#footnote-ref-12)
13. ستائر العتمة، ص 94 [↑](#footnote-ref-13)
14. ستائر العتمة، ص 138 [↑](#footnote-ref-14)
15. ستائر العتمة، ص 139 [↑](#footnote-ref-15)
16. ستائر العتمة، ص 71 [↑](#footnote-ref-16)
17. ستائر العتمة، ص 87 [↑](#footnote-ref-17)
18. ستائر العتمة، ص 64، 65 [↑](#footnote-ref-18)
19. ستائر العتمة، ص 98 [↑](#footnote-ref-19)
20. ستائر العتمة، ص 14 [↑](#footnote-ref-20)
21. دنيا الوطن .. http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/03/29/361512.html#ixzz3YhBiEUIy

Follow us: @alwatanvoice on Twitter | alwatanvoice on Facebook / رائد الحواري [↑](#footnote-ref-21)
22. ستائر العتمة، ص 50 [↑](#footnote-ref-22)
23. ستائر العتمة، ص 60 [↑](#footnote-ref-23)
24. ستائر العتمة، ص 60 [↑](#footnote-ref-24)
25. ستائر العتمة، ص 61 [↑](#footnote-ref-25)
26. ستائر العتمة، ص 60 [↑](#footnote-ref-26)
27. ستائر العتمة، ص 84 [↑](#footnote-ref-27)
28. ستائر العتمة، ص 85 [↑](#footnote-ref-28)
29. ستائر العتمة، ص 85 [↑](#footnote-ref-29)
30. ستائر العتمة، ص 147 [↑](#footnote-ref-30)
31. ستائر العتمة، ص 148 [↑](#footnote-ref-31)
32. ستائر العتمة، ص 57 [↑](#footnote-ref-32)
33. ستائر العتمة، ص 38 [↑](#footnote-ref-33)
34. ستائر العتمة، ص 39 [↑](#footnote-ref-34)
35. ستائر العتمة، ص 38 [↑](#footnote-ref-35)
36. ستائر العتمة، ص 38 [↑](#footnote-ref-36)
37. ستائر العتمة، ص 57 [↑](#footnote-ref-37)
38. ستائر العتمة، ص 57 [↑](#footnote-ref-38)
39. ستائر العتمة، ص 58 [↑](#footnote-ref-39)
40. ستائر العتمة، ص59 [↑](#footnote-ref-40)
41. ستائر العتمة، ص 64 [↑](#footnote-ref-41)
42. ستائر العتمة، ص 75 [↑](#footnote-ref-42)
43. ستائر العتمة، ص 77 [↑](#footnote-ref-43)
44. ستائر العتمة، ص 79 [↑](#footnote-ref-44)
45. ستائر العتمة، ص 79 [↑](#footnote-ref-45)
46. ستائر العتمة، ص 79 [↑](#footnote-ref-46)
47. ستائر العتمة، ص 82 [↑](#footnote-ref-47)
48. ستائر العتمة، ص 82 [↑](#footnote-ref-48)
49. ستائر العتمة، ص 136 [↑](#footnote-ref-49)
50. ستائر العتمة، ص 136 [↑](#footnote-ref-50)
51. ستائر العتمة، ص 166 [↑](#footnote-ref-51)
52. ستائر العتمة، ص 170 [↑](#footnote-ref-52)
53. ستائر العتمة، ص 154 [↑](#footnote-ref-53)